استشراف المستقبل في الفكر الفلسفي بين اليوتوبيا والواقع

Anticipating the future in philosophical thought between utopia and reality

د. دوسن سليمة

جامعة أبو القاسم سعد الله (الجزائر)

salimadoucene.philosophie2@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2024/04/16 **تاريخ القبول: 2024/06/08**

ملخص:

إنّ معني المستقبل وطبيعته يكشفان على أن الإنسان هو الكائن الوحيد المعني بالمستقبل باعتباره الكائن الوحيد القادر أصلا على الوعي وهذا يقتضي التعامل مع الزمان وتقديره له والتفكير المستقبلي هو عملية توليد للكثير من الأفكار واستخدام الخيال والتأمل بهدف تصور ما تكون عليه الحياة مستقبلاً ويعتبر الفكر الفلسفي أول من قدم رؤى مستقبلية وهذه الورقة البحثية تعالج فكرة الاستشراف في الفكر الفلسفي بين تصور اليوتوبيا وبين الطرح الواقعي للمستقبل خاصة في مع التغيرات التي يشهدها العالم المعاصر نتيجة تطور العلم والتكنولوجيا الرقمية وتحديات عصر المعلومات.

الكلمات المفتاحية: استشراف المستقبل، الدراسات المستقبلية، اليوتوبيا.

***Abstract*:**

The meaning and nature of the future reveal that man is the only being concerned with the future, as he is the only being capable of awareness. The future is associated with man's beginning to deal with and appreciate time, and future thinking is the process of generating many ideas and using imagination and contemplation with the aim of imagining what life will be like in the future. Philosophical thought is considered the first to provide future visions, and this research paper addresses the idea of foresight in philosophical thought between the perception of utopia and the realistic proposal for the future, especially with the changes that the contemporary world is witnessing as a result of the development of science and digital technology and the challenges of the information age.

keywords: foreseeing the future, future studies, Utopia.

مقدمة:

إنّ عملية استقراء المستقبل (أو ما يسمى بالاستشراف) هي أحد أهم العلوم الاستراتيجية في الدول والمؤسسات الكبيرة التي تضع خُططها المستقبلية بناءً على قراءة أحوال المجتمع بشكل مُستمر ومنظّم، ويرى الباحثون أنّ الدراسات المستقبلية هي بمثابة الحدّ الفاصل بين نجاح المؤسسات واستمرارها أو فشلها، وتعتبر الدراسات المستقبلية علماً قائماً بذاته مبني على الإلمام بتجارب الماضي والاستفادة منها في إدراك أحداث الحاضر والتنبؤ بالمستقبل والتخطيط له وفق أسس علمية واضحة جميعها ترسم طريق النجاح، إلا أنّ الدراسات المستقبلية ليست مجرد إحصائيات فحسب وإنما هي دراسة ذات طابع قِيمي لأنها تهتم بدارسة مستقبل الإنسان ونوعية حياته وتحسين أسلوبه في العيش وهذا ما جعل الشركات العالمية العابرة للقارات والمتعددة الجنسيات هي من اهتمت بالدراسات المستقبلية لأنها أدركت أهميتها، وبما أنّ هذا النوع من الدراسات لا ينشأ من فراغ فقد ارتبطت في التراث الغربي بفلسفة التاريخ، وقد استطاع الغرب استشراف المستقبل وصياغة مفهوم التقدّم ابتداءً من البحث في الماضي واكتشاف أصوله، وإذا أردنا البحث من الجذور للاتجاه نحو المستقبل فإنّ المستقبل موضوع فلسفي لأنّه جزء من كينونة الإنسان التي تتحرك دائما بين قطبين الماضي وما به من خبرات توجه الذات الانسانية وتشكل ملامحها الأساسية والمستقبل الذي تتجه إليه اللحظة الراهنة، وإذا كان المستقبل هو جزء من الزمان وهو موضوع أنطولوجي فإنّ دراسة المستقبل تتداخل بين التفكير الفلسفي كموضوع مهم في فلسفة التاريخ لأنها تبحث في الآفاق المحتملة لتطور المجتمعات والحضارات الإنسانية وآفاق التنبؤ الإنساني وبين التفكير العلمي كموضوع مهم للعلماء في مختلف المجالات خاصة علماء التكنولوجيا المتقدمة حيث يرون بشكل أكثر جدية حول ماذا يمكن أن يحصل في المستقبل وبدأوا البحث في وسائل أفضل لتوقع ما يمكن انتظاره في المدى القادم[1].

- **إشكالية البحث:** ماهي طبيعة التفكير في المستقبل؟ وكيف تصور الفكر الفلسفي المستقبل؟ وهل الرؤية الفلسفية للمستقبل خيالية طوباوية أم أنها تقوم على الطرح الواقعي للمستقبل؟

أولا: الحقل المفاهيمي لاستشراف المستقبل

1- مفهوم الاستشراف:

جاء في لسان العرب استشراف، يستشرف، استشرافاً، فهو مُستشرف، والمفعول مستشرف يقصد به استشراف الشيء أي رفع بصره، واستشراف المستقبل أي التطلع للمستقبل والنظر إليه أو الحدس به وتوقعه، وهذا هو المعنى المقصود هنا، أمّا مفهوم الاستشراف اصطلاحاً فقد أخذ معان متعددة، وعلى الرغم من اختلاف الباحثين في مفهوم الاستشراف والدراسات المستقبلية إلا أنّ جميعهم أقروا أن هذا الحقل بشكل عام يهتم بكافة الأمور التي لم تحدث بعد وأن جميع الذين تطرقوا للدراسات المستقبلية أكدوا على الحلقة الزمنية وهي المستقبل[2]، ومن بين التعريفات نأخذ ما يلي:

- المستقبل هو مجال الممكن لذلك هو مفتوح على كلّ الاحتمالات التي تتحول في حياة الأفراد والشعوب إلى طموحات يحلمون بتحقيقها أملاً في زيادة رفاهية الإنسان وتحقيق الحد الأقصى للخير والسعادة ويقول:"هوق دي جوفنال H.D.Jouvenel "مدير مجلة "Futurbles" "إنّ المستقبل يتجلى بطبيعته في ثلاث مجالات؛ مجال الحرية، ومجال القدرة ومجال العزيمة"[3].
- أما معجم مصطلحات الاستشراف فقد فصل بين المستقبل بوصفه مرتبطا أنطولوجيا بالماضي عن تعريف المستقبل انطلاقا من المستقبل، فهناك فرق في طبيعة المستقبل والماضي من منظور الذات المفكرة في المستقبل، فالماضي هو مجال الأفعال المعلومة ومن ثم فليس لنا أيّ إرادة أو حرية أمّا المستقبل فهو على عكس ذلك فهو مجال الحرية والقوة وهو في ذات الوقت مجال اللايقين[4].
- المستقبل هو العلم الخاص بعملية التنبؤ بالأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المتوقع حُدوثها في المستقبل القريب، ويستند في دراسة علم الاستشراف على الاستقراء والاستنباط وجمع الوقائع المتعددة واستخلاص المبادئ العامة التي تحكمها، والخروج بعد ذلك بالرؤية التي يكون عليها المجتمع في الأجيال القادمة.

- الدراسات المستقبلية هي مجموعة من البحوث والدراسات التي تهدف إلى الكشف عن المشكلات ذات الطبيعة المستقبلية والعمل على إيجاد حلول عملية لها كما تهدف إلى تحديد اتجاهات الأحداث وتحليل المتغيرات التي يمكن أن يكون لها تأثير على مسار الأحداث المستقبلية[5].

عند ممارسة الاستشراف من الضروري التمييز بين التنبؤ الذي يعني المستقبل المحتمل ومن أهم مبادئه هو أنّ المستقبل امتداد طبيعي للماضي وهو شائع الاستخدام وفعال في التخطيط القصير المدى وبين السيناريوهات التي هي حديثة الاستخدام وتعني المستقبل الممكن والمعقول أو المحتمل، ومن خصائصه التفكير خارج الصندوق والبحث عن بدائل وخيارات جديدة، وهناك نوعين من السيناريوهات "السيناريو الاستطلاعي" و"السيناريو الاستهدافي" وهو فعال في التخطيط المتوسط وطويل المدى وأخيراً بين الرؤية وهي شائعة الاستخدام أيضا وتعني المستقبل المرغوب وما تسعى المؤسسة لتحقيقه ضمن رسالتها[6].

إنّ الهدف من تمارين الاستشراف خاصة التي تقام في الملتقيات والمؤتمرات الدولية في مختلف المجالات هو التخطيط وتنفيذ الخطوات اللازمة للوصول إلى الهدف، وقد تمّ ابتكار عناصر جديدة تكشف عن مبادرات الاستشراف اليوم إمكانية وجود مستقبلات مختلفة وقد أظهرت الكثير من التجارب من خلال الفعاليات المنظمة أن رؤى المستقبل تستند على استمرار الماضي والحاضر والمستقبل، وأنه من الصعب التخلي عن هذه الطريقة في التفكير[7] إنّ نقطة الالتقاء الفريدة بين ثقافات الماضي والحاضر والمستقبل هي المحتوى الإنساني الذي لم يظهر بعد بشكل كاف في أيّ مكان ولكن من المؤكد أن توقعه بشكل مناسب[8].

2- علاقة مفهوم المستقبل بمفهوم الزمان:

لا يمكن الحديث عن مفهوم المستقبل من دون الحديث عن مفهوم الزمان خاصة أنه موضوع جدل ونقاش بين الفلاسفة عبر العصور، وقد انقسم الفلاسفة حيال ذلك إلى اتجاهين؛ الاتجاه الأول عدّ الزمان مفهوماً منفصلاً عن الحركة والظاهرة، وسابق عليهما، ومن ثم تم إدراكه كامتداد مطلق، وبالتالي تصور الزمان كمفهوم عقلي مثلما جاء به **أفلاطون** Plato حوالى (427ق.م – 347ق.م)، والاتجاه الآخر ربط الزمان بالحركة كما تصوره **أرسطو**

Aristotle (384ق.م–322ق.م) أو هو تعبير حركي للزمان مثلما أدركه **جون لوك** John Locke (1632–1704)، وقد تم اضافة بُعد آخر على الزمان وهو الإحساس به، لكن التطور العلمي مع نظرية النسبية أفضى إلى استقرار المفهوم المعاصر للزمان حيث يُفيد أنّ الزمان نسبي ومرتبط بالحركة والساعة والمراقب للحركة[9].

إنّ العقل يتذكر الماضي ويتوقع المستقبل أما الحاضر فهو أنطولوجيا الوجود الحقيقي أو الوجود الموجود الفعلي والقادر على استدعاء الماضي وتوقع المستقبل، والحقيقة أنّ العلاقة الجدلية بين الحاضر والمستقبل لها أبعاد أخرى يشهد عليها التاريخ الإنساني ويحددها موقف البشر من الحاضر نفسه فعندما يستحوذ الحاضر على رضا الناس فإنه لا يقلل اهتمامهم بالمستقبل فحسب بل بالماضي أيضا، أما إذا كان الحاضر لا يرضي الناس بأيّ شكل من الأشكال بل يزودهم بالوسائل والإمكانيات القادرة على التغلب على مشاكل الحاضر وبالتالي فإنه يفتح آفاق المستقبل بدون أن يجعل الحاضر منفراً لهم لأن الحاضر هو الأساس الذي يقوم عليه المستقبل[10].

3- جدلية المفهوم في معنى المستقبل:

لقد اتفق الرأي على أن "**أوسيب فليختهايم** Ossip Flechthaim" هو صاحب مصطلح "**علم المستقبل** Futurology "، عام 1943 أعلن ميلادا جديدا يبحث عن منطق المستقبل بنفس الطريقة التي يبحث فيها علم التاريخ عن منطق الماضي وقد دعا "فليختهايم" في كتابه "**التاريخ وعلم المستقبل**" الذي نُشر عام 1965 إلى تدريس هذا العلم في المدارس، وقد اعتبره فرعاً من فروع الدراسات الاجتماعية وأقرب إلى علم الاجتماع التاريخي رغم ما بينهما من فروق، فبينما يهتم الأخير بأحداث الماضي يستشرف علم المستقبل أحداث الزمن القادم باحثا في احتمالها ونوعها، إلا أنّ "**برتراندا دي جوفنال**" في كتابه " **فن التكهن** The art of conjecture" الذي صدر عام 1967 قال "إنّ الدارسة العلمية للمستقبل فن من الفنون ولا يمكن أن تكون علماً، إنّ المستقبل ليس علم يقين بل عالم الاحتمالات، فالمستقبل ليس محدداً يقيناً فكيف يكون موضوع علم من العلوم" ويؤكد على ذلك" **فريد بولاك** Fred Polak" في كتابه "**صورة المستقبل** The Image of The Future" حيث يرى أنّ المستقبل مجهول وبالتالي لا يمكن إرساء علم على المجهول[11].

قد تكون هذه الآراء الرافضة لاصطلاح علم المستقبل هي ما أدت في النهاية إلى استخدام الدراسات المستقبلية بدلاً من "علم المستقبل" وهذا ما أكدته الجمعية الدولية للدراسات المستقبلية عندما قالت إن الدارسة العلمية للمستقبل التي ترتكز على استخدام الطرق العلمية فهي مجال معرفي أوسع من حدود العلم لأنها تتضمن المساهمات الفلسفية والفنية إلى جانب الأبحاث العلمية كما أنها تتعامل مع مجموعة واسعة من البدائل والخيارات الممكنة وليس مع إسقاط مفردة محددة على المستقبل[12].

4- مفهوم اليوتوبيا ودلالاته الفلسفية:

اليوتوبيا كلمة يونانية الأصل لغويا تتكون كلمة اليوتوبيا أو يوطوبيا من لفظين (ou) وتعني "لا" أو العدم أو غير موجود بالفعل أو المكان و(topos) وتعني "المكان" وبهذا تعنى كلمة اليوتوبيا في دلالتها اللغوية المباشرة "**ما لا يوجد في مكان بعينه**" فالكلمة إذن تدل على ما هو خارج الواقع أو المكان المتصور والمتخيل، وبمعنى آخر تدل على ما ليس حاضر الوجود وإنما يمكن أن يتواجد في المستقبل، وأول من استعمل اللفظ الفيلسوف والسياسي الإنجليزي "**توماس مور** Tomas Morus" (1478–1535) في كتابه "**اليوتوبيا**" عام 1516 وهو كتاب يصور مدينة خيالية ذات نظم مثالية تضمن لأفرادها أسباب الخير والسعادة ثم أُطلق اللفظ بعد ذلك على كلّ كتاب يُصور النظام المثالي للمجتمع الإنساني مثل كتاب "**مدينة الشمس**" عام 1602 للفيلسوف الإيطالي "**توماسو كامبانيلا** Tommaso Campanella" (1568–1639)[13]، وغيره من الأمثلة سنتطرق لها لحقاً.

واليوتوبيا من ناحية المفهوم الفلسفي لها دلالات وأبعاد مختلفة لأنها تتسم بالشمولية والعمق لذا اليوتوبيا في أوسع معانيها نستطيع أن نقول بأنها نفي ورفض عدة أمور على المستوى الاجتماعي والسياسي والإبستمولوجي والميتافيزيقي، لكن مفهوم اليوتوبيا كرؤيا فلسفية مبنية أيضا على منطق فكري وواقعي لأن اليوتوبيا لا تنفصل عن الواقع والبيئة السائدة، وكذلك الأفكار اليوتوبية ظهرت كنتيجة لتفكير في الواقع ومشاكله من أجل إيجاد حلول وطرح البديل، فهي مشروع مستقبلي، فاليوتوبيا إذن هي انفتاح وكشف عن فرص وإمكانيات جديدة أي الأمل المنشود وهذا يعتبر حلقة وصل بين المستقبل واليوتوبيا، لأنّ

التعامل مع المستقبل يعني النظر الي كيفية استقباله والتنبؤ به ومعرفة ما يحدث قبل أوانه لأن نظرية المعرفة حسب الفيلسوف الألماني "**أرنست بلوخ** Ernst Bloch"(1885–1977) هي "أنّ المعرفة ليست مقتصرة على ما حدث في ما مضى وانما ما قد يحصل ويحدث"[14].

وعلى ضوء ما سبق يمكن التأكيد على وجود دراسات شبه علمية تتحدث حول احتمالات المستقبل من منظور نتائج بعض الدارسات في العلوم المختلفة، كما أنه لا يمكن الحديث عن المستقبل بدون إعمال البصيرة العقلية والرؤى الفلسفية التي يلعب فيها الخيال الإنساني دوراً أساسياً؛ أي أنّ الحديث عن المستقبل في واقع الحال أقرب أن يكون رؤى فلسفية وليس علماً وإلا اختلط على الناس الفصل بين العلم والفلسفة[15].

ثانيا– استشراف المستقبل في الفكر الفلسفي بين اليوتوبيا والواقع

إنّ موضوع التفكير الفلسفي في المستقبل ليس جديدا في الفكر الفلسفي، فنجده في الحضارات الشرقية القديمة وفي الفكر اليوناني يظهر في أشكال عديدة على صورة **يوتوبيا** Utopia أو في صورة أفكار أخلاقية وسياسية وقد اتسعت جوانبه وتفرعت قضاياه لدرجة أنه أصبح لزاما على الدراسات الفلسفية أن تجعل له مبحثا جديداً يتجاوز النظرة الكلية العابرة إلى البحث الدقيق في تفاصيل تصور الإنسان عن المستقبل في الفكر المعاصر التي تهتم بدارسة المستقبل من مختلف الجوانب[16].

إنّ الجذور الفلسفية في تصور المستقبل ظاهرة قديمة وعابرة للمكان ولقد برز هذا التفكير كنمط متميز عند اليونان، فالدولة اليوتوبية عند **أفلاطون** (حوالي 427ق.م – 347 ق.م) خير مثال للفكرة في المرحلة الأولية للفلسفة في عصر الإغريق، ونجد هذا في الرؤية الخيالية المثالية في "**محاورة الجمهورية**" عند **أفلاطون**، حيث قام بتصور مجتمع مستقبلي يتميز بالحكمة والفضيلة والحق والخير وجعل من العدل أساسا له، وهذا التصور عند أفلاطون ينتمى إلى عصره ومبني على شكل هرمي في إدارة السلطة، فالمشروع الأفلاطوني كان يوتوبياً في جوهره لأنه تخطيط لمدينة نموذجية كبديل لم يسبقه في أثينا، وكذلك نجد فكرة المجتمع النموذجي في كتاب **القديس أوغسطين** Saint Augustin (354م–430م) بعنوان "**مدينة الله**"[17]، ونجد نفس التصور الأفلاطوني تقريبا عند **الفارابي** في تصوره للمدنية الفاضلة في

كتابه "**آراء أهل المدينة الفاضلة**" حيث رأى أن انتشار المعرفة والفضيلة فيها سيحقق للإنسان السعادة الحقيقة وفي نهاية القرن الخامس عشر شهد ظهور كتاب "**توماس مور** Tomas Morus" بعنوان "**اليوتوبيا**" حيث طرح فيه تصورا مستقبليا لمجتمع مثالي يخلو من الظلم غير أنّ توماس مور لم يركن إلى تقديم أفكار مجردة أو عرض نظري لما يجب أن تكون عليه الدولة المثُلى كما فعل أفلاطون في جمهوريته مثلاً، بل قدّم صورة أدبية لجزيرة مثالية ادعى أنها حقيقة واقعة صادفها الروائي أثناء رحلاته وتركت في نفسه أثراً قوياً فنقل صورة مفصلة لها وربط بينها وبين عالم الواقع وهذا يوضح لنا من ناحية أخرى ارتباط اليوتوبيا بعالم الواقع بما تحمله من آثار العصر الذي كتبت فيه، كما قدّم لنا "**مور**" صورة مستقبلية لدولته المثالية قدم لنا كذلك صورة لمساوئ العصر الذي عاش فيه[18].

ويكشف الفيلسوف الإنجليزي "**فرنسيس بيكون** Francis Bacon"(1561–1626) رائد الثورة العلمية في كتابه"**أطلنطا الجديدة**"عن مدينة يحكمها العلماء كما يحكم الفلاسفة جمهورية أفلاطون، حيث تصور مدينة مستقبلية سكانها عباقرة في العلم وينعمون بالمنجزات العلمية، وقد عبر عصر النهضة عن التحول النوعي في رؤى الإنسان الذهنية للحياة المستقبلية والنظرة التقدمية حيث نجد "**غوتفريد ويلهلم فون ليبنتز** Gottfried Wilhelm Von Leibniz"(1646–1716) قد طرح رؤية تقدمية أكد من خلالها أن الوجود ينبثق دوما عن أشكال جديدة، وتبنى الفيلسوف الألماني "**جورج فريدرخ هيغل** Georg Friedrich Hegal" (1770–1831) رؤية ديالكتيكية تاريخية قوامها السيرورة أو التحول الزماني المطلق الذي رأى فيه أساس الوجود بكافة أشكاله ابتداءً بالمادة مرورا بالحياة وانتهاءً بالعقل أو الروح[19].

إن الإنسان يوتوبي لأنه يريد الخروج من الواقع من خلال الأمل بالمستقبل، كما أنّ هناك رابط وثيق بين المستقبل واليوتوبيا لأنّ اليوتوبيا لم توجد بعد ولكن قابلة للتفكير بها وفيها كشيء متواجد بالفعل، ويعتبر الفيلسوف "**أرنست بلوخ** Ernst Bloch" صاحب الأطروحة الشهيرة "**مبدأ الأمل أو فلسفة المستقبل**" الذي قام بتنظير مفهوم جديد لليوتوبيا على أفكار فلسفية بحتة وليس كمشروع سياسي أو إيديولوجي، وبهذا يكون بلوخ قد ميّز

بين اليوتوبيا القديمة واليوتوبيا الحديثة فهي تنطوي على نفي وعدم الرضا بالواقع الموجود وطرح البديل، فاليوتوبيا عنده مشروع مستقبلي على كافة الأصعدة لأنّ أرنست بلوخ يرى أنّ الواقع الحالي آني ونقطة وصل بين الماضي والمستقبل فكل وقت راهن حامل لبذور المستقبل إذا فكرنا وخططنا له لأنّ اليوتوبيا تعتبر الوجه الآخر للتجديد كما أنها قوة محركة وديناميكية في التفكير والحركة لأيّ تغيير في الحياة الإنسانية[20].

كما ظهرت فلسفات عن آخر الزمان ونظريات الخلاص التي تصور الإنسانية في المستقبل، فقد كتب "**فولني** Volney" (1757–1775) رواية "**الأطلال**" يُصور فيها البشرية وقد حكمتها نظم الطبيعة الأبدية وقوانينها مثل حب الذات والرغبة في السعادة وتقرير الإنسان لمصيره وثقته بقدراته وتطلعه إلى عالم أفضل كما كتب "**ستيف دي لابريتون**" (1757–1814) رواية سماها "**سنة 2000**" يتنبأ فيها بمستقبل الإنسانية، كما ألّف الروائي والمسرحي الفرنسي "**لويس سباستيان مرسييه** Louis Sebastien Mercier" (1740–1825) كتاب بعنوان "**سنة 2440 حلمٌ لو تحقق يوماً** L'An2440 rêve s'il en fut jamais" عام 1771 مصورا الأمم واحدة واحدة، لا حرب بينهم، ويصف مستقبل العالم متأثرا بالفيلسوف "**ليبنتز**" في أن الحاضر حامل للمستقبل، وبالتالي فإن مستقبل الإنسانية تطور طبيعي لحاضرها، كما ظهر الفكر الطوباوي الذي يحدد فيه الأفراد والمجتمعات رؤيتهم لبشرية جديدة ستأتي في المستقبل كرد فعل على مآسي الحاضر[21].

إن الفلسفة المستقبلية تضرب في أعماق فكرة التقدم ونجد في الاصطلاح اللفظي "**المستقبل والتقدم**" أنّ الفلسفة قرينة الإثنين معا، فأيّ فلسفة هي دعوة للتقدم والتطور نحو الأفضل، ولذلك فهي تقوم بمهمتها المستقبلية حتى وإن اقتصرت على النقد في أي مجال من المجالات، إن فكرة التقدّم هي نظرية "تتضمن تركيبا للماضي ونبوءة عن المستقبل وهي قائمة على تفسير التاريخ "ومن أهم نظريات التي تفسر الحضارة والتاريخ "**نظرية التقدم ذات الجذور السوفسطائية والأبيقورية القديمة**" والتي طورها وقدم تفسيراً شاملاً من خلالها فلاسفة التنوير الفرنسيين وخاصة "**فولتير** Voltaire"(1694–1778) **وجون جاك روسو** Jean jacques Rousseau" (1712–1778) **و"كوندرسيه** Condorcet Marquis de" (1743–1794)[22].

وبجانب هذا النمط من النظريات أو الرؤى المستقبلية التي تضمنت ما يفيد أن التقدم نحو الأفضل ما هو إلا إحدى سنن الحياة التي لا تقبل التراجع، ويرتبط نمط آخر منها بفكرة النشوء والارتقاء أو التطور المستمر للحياة وقد عرضها الإنجليزي "**تشارلز روبرت داروين** Charles Robert Darwin" (1809–1882) في كتابه أصل الأنواع عام 1859، أما الفيلسوف الإنجليزي "**هربرت سبنسر** Herbert Spencer" (1820–1920) الذي عمم تصور تشارلز داروين في التطور البيولوجي على كافة أنماط التطور والارتقاء الأخرى، ورأى أنها صالحة لتقديم تفسير شامل لكافة الأحداث والظواهر الإنسانية والاجتماعية والكونية ويعتبر هذا قاعدة داعمة لفكرة التقدّم[23].

لقد استطاع الوعي الأوربي تجاوز فلسفة الدورات الحضارية إلى فلسفة التقدّم المستمر الذي لا رجعة فيه، فالدورات الحضارية في النهاية تقوم على تصور دائري للحضارات البشرية بدايةً وتطوراً واكتمالاً ونهايةً حتى ولو بدأت الدورة الثانية من خطوة إلى الأمام وليس من الصفر كما هو الحال عند الفيلسوف الإيطالي "**جامباتستا فيكو** Giambattista Vico" (1668 – 1744) الذي يجمع بين التصور الدائري والتقدم في الزمان، وقد عبر الفيلسوف الألماني "**إيمانويل كانط** Emmanuel Kant" (1724–1804) على أنّ الانسانية تسير نحو غايتها من الغريزة إلى الحس ثم العاطفة حتى تصل في النهاية إلى العقل ولا رجعة إلى الوراء مثل الطفل تماما ينتقل من المرحلة الغريزة إلى المرحلة الحسية ثم مرحلة المعرفة الوجدانية وأخيراً المرحلة العقلية وفي كلّ مرحلة تكتشف الإنسانية مقومات التقدم مثل الحرية وإقامة المجتمع المدني المستنير، كما ظهر المستقبل كأحد مراحل تطور البشرية التي لم تبلغها بعد، فقد رفض "**فونتنل**" فكرة النكوص أو قانون القهقري والعودة إلى العصر الذهبي وتصور مرحلة رابعة مستقبلية بعد الطفولة والشباب والرجولة وهي مرحلة النضج وفيها تبلغ الإنسانية قمة التقدم، فالتقدم لا حدود له من ناحية المستقبل ليس للإنسان عصر قديم يرجع إليه فالإنسانية العاقلة في تقدم مستمر وهو تقدم حتمي ضروري، كما أنّ التقدم لا يحدث في العلوم والمعارف وحدها بل يحدث في المجتمع والتاريخ[24].

وكذلك ظهرت فكرة المرحلة المستقبلية أيضا عند الفيلسوف الفرنسي "**ماركيز دو كوندرسيه** Marie de Condorcet (1743–1794)، إذ جعل المراحل التسع الأولى لتطور البشرية في الماضي والمرحلة العاشرة للمستقبل، فقد عاش الإنسان أولا على طبيعته الحسية ثم استأنس بالرعي ثم عرف الزراعة، وبعد ذلك المرحلة الرابعة هي المرحلة اليونانية ازدهرت فيها العلوم والفنون ثم المرحلة الرومانية ثم مرحلة العصور الوسطى وبعدها عصر النهضة، ثم المرحلة التاسعة العصر الحديث، ثم المرحلة العاشرة وهي مرحلة المستقبل، وهو العصر الذهبي والذي لم تبلغه الإنسانية بعد ولكن الإنسان قادر على التنبؤ به باستقرائه للعلوم الطبيعية والاجتماعية، وتتحقق في هذا العصر ثلاثة أمور: المساواة بين الأمم وزوال الفوارق بين الشعوب وتساوي الجميع في الحقوق والواجبات والمساواة داخل الأمة الواحدة وزوال الفوارق الطبقية وارتقاء الإنسان في ذاته وتحقيق وحدته[25].

إننا اليوم بحاجة إلى صور واقعية لما قد يحمله المستقبل حتى نتمكن من اتخاذ قرارات سليمة، خاصة وأن بعض الأنشطة البشرية لها تأثيرات عالمية، ومن الواضح أنّ الاستعداد للمستقبل يتطلب أساساً من المعرفة يمكن أن يرتكز عليه العمل والقدرة على التعلم من الخبرة والاهتمام الوثيق بما يجري في الوقت الحاضر، لأنّ التفكير في مستقبل البشرية موضوع كبير جداً ومتنوع ولا يمكن تناوله ككل في مجتمع واحد ولهذا من المهم عملياً محاولة تطوير نمط واقعي للتفكير المستقبلي[26].

يعد التفكير الموجه نحو المستقبل ذا قيمة كبيرة لفهمنا الحالي للعلوم ويمكن النظر في النظريات التي تم تطويرها في فلسفة العلوم التي تقدم رؤى حول المستقبل المحتمل للعلوم ولتحفيز الدراسة الفلسفية لمستقبل العلم من المفيد أن نبدأ بالتوتر الذي يتعلق بمستقبل العلم وتعتبر عملية فهم التقلبات التاريخية والصدفة كأدوات قوية وأساس مناسب لبناء السيناريوهات لمستقبل العلم ويمكن للتفكير الموجّه نحو المستقبل أن يفتح وجهات نظر وخطوط بحث جديدة فيما يتعلق بموضوع تطور العلوم[27].

تظهر دراسة مستقبل الفلسفة كأحد منتجات الفلسفة الطبيعية على جيل من الفلاسفة الذين يسعون جاهدين في مختلف الدراسات العليا لتحديد اتجاه التخصصات

الفلسفية ويمثل "مستقبل الفلسفة" جهداً جماعياً لتقييم الأهداف والقيم التي ينبغي التحقق منها فلسفيا سواء في مجالات البحث العامة أو الخاصة[28].

ويمكن أن نقدم مثالين عن التفكير في مستقبليات الفكر الفلسفي المعاصر:

أ– المثل الأول يقدمه الفيلسوف الفرنسي **روجيه جارودي** Roger Garaudy (1913–2012) في كتابه "**كيف نصنع المستقبل**"، حيث خصص الجزء الثاني منه للحديث عن بناء الوحدة الإنسانية ويري أنه يمكن ذلك بواسطة أربع تحولات أولها في الاقتصاد وثانيها في السياسة وثالثها في التعليم ورابعها وهي التحول للإيمان حيث ركز جارودي على الطابع الإنساني في العلاقات الاقتصادية والسياسية والتعليم، أما التحول في الإيمان يدعو جارودي مستقبلاً أن يستند على قناعة بأن عالمنا تلزمه صياغة جديدة للقيم المقدسة[29].

ب– أما **المثل الثاني** للتفكير في مستقبليات الفلسفة فقد تم من خلال مؤتمر دولي عُقد في المركز الثقافي بباريس في مطلع عام 2000م بمناسبة الولوج إلى قرن جديد وألفية جديدة هي الألفية الثالثة حيث دعي إليه عشرة مفكرين معاصرين وطلب كل واحد منهم إعادة قراءة الفلسفات القديمة وآفاق تفسيرها في المستقبل حيث بينوا أن دراسة الفلسفة القديمة ينتظرها مستقبل واعد ومبشر بالأمل إذ هناك من يعتقد أنه سوف يكون فهم أعمق لهؤلاء الفلاسفة القدماء من الناحية العلمية، فمثلا إعادة قراءة مقولات الأورغانون الأرسطي القديم أو نظرية المقولات العشر التي قام عليها منطق أرسطو أو منطق التفكير الصحيح والبحث عن تجربة صالحة لوضع تصور للأورغانون القرن الجديد وربما الألفية الجديدة ولذا خرج ناتج هذه التجربة وتلك القراءة المعاصرة لمقولات أرسطو القديمة في كتاب بعنوان"**أي فلسفة للقرن الحادي والعشرين أورغانون القرن الجديد**"[30].

وبحسب "**أوليفر ليمان**" من المحتمل أن يكون هناك تأثير آخر لزيادة التجانس في الثقافة العالمية والحضارية ألا وهو توسيع نطاق المنهج الفلسفي التقليدي، ففي المرحلة الراهنة في الغرب لا توجد إلا معرفة قليلة بالفلسفات الشرقية كاليابان والصين والهند، وهذا راجع إلى ميل لدى الفلاسفة الغربيين إلى الاعتقاد بأنّ الفلسفة الشرقية هي جزء من الديانات

الشرقية أو هي مرتبطة إلى حد بعيد بالأشكال الغامضة من التفكير ومن المتوقع في المستقبل أن تصبح بعض البلدان الرئيسية في الشرق في غاية القوة من الناحية الاقتصادية إلى جانب اليابان وهذا سوف يكون له تأثير على باقي دول العالم إلى الاطلاع على طموحاتهم الحضارية[31].

إن الفلسفة التطبيقية تتناول قضايا مهمة فهي تدرس موضوع المستقبل في فروع الفلسفة المختلفة والتطورات المحتملة في هذه الفروع وحاجة المجتمع المعاصر إلى الفكر الفلسفي بعد التحولات المختلفة التي يعرفها العالم، وتعتبر الفلسفة التطبيقية تلبية لحاجة الإنسان حول قضايا ترتبط بوجوده وسط متغيرات سياسية واجتماعية وعلمية فالتطورات التي مرت بها المجتمعات الإنسانية قد غيرت من نظرة الإنسان إلى ذاته، وإلى وضعه في الكون وإلى طبيعة علاقته بالآخر مما دفع الفكر الفلسفي إلى استحداث موضوعات جديدة تعالج القضايا الراهنة التي أفرزها التقدم العلمي والتكنولوجي والدراسات التطبيقية الفلسفية ذات الطابع القيمي، لأنها تهتم بدراسة مستقبل الإنسان ونوعية حياته وتحسين الطريقة التي يعيش بها ومن قضاياها الأخلاق التطبيقية بمختلف فروعها؛ مثل الأخلاق الطبية وأخلاق الهندسة الوراثية والأخلاق البيولوجية وأخلاق تكنولوجيا الإعلام والاتصال والمعلوماتية[32].

والجديد في الدراسات المستقبلية المعاصرة أنها تتجاوز النظرة المطلقة لمستقبل البشرية بعيدا عن التفاؤل والتشاؤم، وتبحث في ممكنات المستقبل في ميادين بعينها مثل السياسة والاقتصاد والبيئة والفيزياء والبيولوجيا والفن والعلوم السلوكية والاعصاب، فتبحث هذه الدراسات في صورة الحاضر والاحتمالات التي يتطور باتجاهها، ولا يعني البحث في المستقبل بتجاهل الحاضر بل البحث في الحاضر من خلال منظور مستقبلي، ذلك لأنّ أيّ معالجة للقضايا الراهنة والمشكلات التي نعيشها اليوم لها آثارها المترتبة عليها في المستقبل وهذه دعوة الى اتساع الرؤية للحاضر ونفكر من خلال ثقافة الزمن بأبعاده الثلاث "الماضي والحاضر والمستقبل" ولا نقف عند بعد واحد من أبعاد الزمن وإن كانت بعض الاتجاهات تهتم بدراسة الماضي وتفسيره مثل فلسفات التاريخ فكذلك يجب أن نقدم الفلسفات التي تهتم بدراسة المستقبل[33].

إن الجميع يريد أن يقتنع في عصرنا هذا أن للفلسفة والفلاسفة دوراً في تحقيق التقدم الفعلي الذي يصنعه البشر على الأرض الجميع يريد أن يري أثر ملموسا للفلسفة والفلاسفة فيما تصنعه الإنسانية من تقدم في الحاضر والمستقبل، وأنها ليست مجرد تاريخ من الحكمة التأملية في الماورائيات دون أي صلة بالواقع المعاش وأنها ليست مجرد رؤي نقدية لما يجري في الواقع من أحداث ومشكلات[34].

خاتمة:

لقد أصبح تعلم كيفية التفكير حول المستقبل في غاية الإلحاح بسبب التسارع الكبير في وتيرة التغير في العالم، فنحن نحتاج إلى أن نعرف كيف يتغير العالم حولنا خاصة نتيجة التطورات السريعة في عالم التكنولوجيا، فبعض المهن سوف تختفي خلال السنوات القليلة القادمة مع بروز تكنولوجيات جديدة تحل محلها، وبداية ظهور مهن جديدة أفرزتها التحولات العالمية الراهنة، لقد أصبح بإمكان البشر والمؤسسات اليوم أن يصنعوا آفاق مستقبلية لأنفسهم تكون أغنى من أيّ شيء كنا نتخيله قبل قرن من الزمان، وبسبب هذه التطورات السريعة وغيرها أصبح استقراء المستقبل حاجة ملحة في هذه الأيام فلا بد لنا من التفكير المبكّر إذا أردنا أن نتكيف مع أي تغيرات، خاصة وأن التفكير الجدي حول المستقبل كان مجمدا لفترة طويلة بسبب الاعتقاد بأنّ المستقبل مجهول وهو خارج سيطرتنا وكان ينظر إلى من يتكلمون عن المستقبل كحالمين أو أنه ضرب من التنجيم، والعاقلون هم من يركزون على أعمالهم مباشرة لكن العلماء في مختلف المجالات خاصة علماء التكنولوجيا المتقدمة أصبحوا يرون بشكل أكثر جدية حول ماذا يمكن أن يحصل في المستقبل وبدأوا البحث في وسائل أفضل لتوقع ما يمكن انتظاره في المدى القادم[35].

إنّ الوعي بالمستقبل واستشراف آفاقه وإدراك تحدياته وفرصه من المرتكزات المهمة لصناعة أي نجاح، ونظراً لما يشهده العالم من تغيرات واسعة في جميع المجالات وكذلك تأثير العولمة فإن تصور المستقبل لا يجب أن يعتمد فقط على نظرة أحادية بل سيناريوهات مختلفة تمكننا من إحداث تغيير إيجابي من أجل مستقبل أفضل[36].

وفي ضوء ما سبق وبناء عليه أصبحت الدراسات الاستشرافية للمستقبل في العلوم الطبيعية والإنسانية والاجتماعية وكذا العلوم المستحدثة ضرورة ملحة خاصة ونحن في عصر اتسم بالتغير السريع، إننا نحتاج الآن إلى عمليات استكشاف آفاق المستقبل في كل الاتجاهات في ضوء المعطيات المتوفرة وتنظمها من منظور عقلاني علمي، كما أن فلسفة المستقبل هي بوضوح ذلك الفرع من الفلسفة المعني بتأمل وقراءة صورة المستقبل على أصعدة عديدة من مستقبل الحياة الفكرية والتعليمية والاقتصادية والسياسية إلى مستقبل التطورات العلمية والتكنولوجية التي ستشهدها البشرية، فقد يكتفي الفيلسوف بقراءة مستقبل القرن الذي يعيش فيه أو القرن الذي يليه وقد تتسع قراءاته لتوقعات المستقبل حتى نهاية الألفية التي لايزال يعيش بداياتها، ومن خلال هذا التحليل نستنتج أنّ الفكر الفلسفي في تفكيره في المستقبل انتقل من اليوتوبيا إلى الواقع نتيجة التطورات العلمية والتكنولوجية التي فرضت على الفلسفة مواكبة واقع الإنسانية في التطور الذي يشهده العالم[37].

الهوامش والإحالات

[1]– ينظر إلى: – منال أحمد البارودي، علم استشراف المستقبل، الطبعة الأولى، القاهرة – مصر: المجموعة العربية للتدريب والنشر، 2019، ص19.

– أوليفر ليمان، مستقبل الفلسفة في القرن الواحد والعشرون، ترجمة، مصطفى محمود محمد، (سلسلة عالم المعرفة رقم 301)، الكويت: مطابع السياسة 2004، ص.13

[2]– منال أحمد البارودي، المرجع نفسه، ص 20.

[3]– مصطفى النشار، الأورغانون العربي للمستقبل، الطبعة الأولى، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2014 ص29، .31

[4]– مصطفى النشار، مدخل إلى فلسفة المستقبل، ط1، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2021، ص.73

[5]– المرجع نفسه، ص .21

[6]– بخيتة سعيد المنصوري، وعبدالرزاق الظهوري، التخطيط بالسيناريوهات واستشراف المستقبل، 2019 كتاب الكتروني، ص 17، 18.

https://eco.nahrainuniv.edu.iq/wp-content/uploads/2020/12/senariosplaning-190921123618.pdf

[7]– المرجع السابق، ص.257

[8]- Ernst Bloch, **A PHILOSOPHYOF THE FUTURE,** Translated by John Gumming, HERDER AND HERDER NEW YORK ,232 Madison Avenue, New York**,**

1970, Original edition: Tubinger Einleitung in die Philosophie, volume I. © 1963 by Suhrkamp Verlag, Frankfurt am Main. P144.

[9]– مازن إسماعيل الرمضاني، دراسات واستشراف مشاهد المستقبل، الطبعة الأولى، الجزائر (دار الموج الأخضر للنشر والتوزيع، 2020)، ص 97.

[10]– عطيات أبو السعود، الحصاد الفلسفي للقرن العشرين، مؤسسة هنداوي، صدرت هذه النسخة عام 2021، صدر الكتاب عام 2003، ص 162، 163.

[11]– مصطفى النشار، مدخل الى فلسفة المستقبل، ص .71

[12]– المرجع نفسه، ص .72

[13]– ينظر: – جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2، بيروت، (دار الكتاب اللبناني)، 1982، ص24.

– مراد وهبة، المعجم الفلسفي، القاهرة: (دار قباء الحديثة)، 2007، ص 692.

[14]– نوزاد جمال ومجموعة من الأكاديميين للرابطة العربية الفلسفية، اليوتوبيا والفلسفة (الواقع اللامتحقق وسعادات التحقق)، ط1، لبنان:(الرابطة العربية الأكاديمية للفلسفة)، 2014، ص177،179،185

[15]– المرجع نفسه، ص .72

[16]– أوليفر ليمان، مستقبل الفلسفة في القرن الواحد والعشرون، ص 10،14.

[17]– نوزاد جمال ومجموعة من الأكاديميين للرابطة العربية الفلسفية، اليوتوبيا والفلسفة (الواقع اللامتحقق وسعادات التحقق)، ص 181،190.

[18]– توماس مور، يوتوبيا، ترجمة وتقديم أنجيل بطرس سمعان، الطبعة الثانية، القاهرة: (الهيئة المصرية للكتاب)، 1987، ص 13، .14

[19]– مازن اسماعيل الرمضاني، دراسات واستشراف مشاهد المستقبل، ص45، 47، 50.

[20]– نوزاد جمال ومجموعة من الأكاديميين للرابطة العربية الفلسفية، اليوتوبيا والفلسفة (الواقع اللامتحقق وسعادات التحقق)، ص184، 186، 190.

[21]– حسن حنفي، دراسات فلسفية (الجزء الثاني في الفلسفة الغربية الحديثة والمعاصرة)، مؤسسة هنداوي 2020، ص.349

[22]– مصطفى النشار، مدخل الى فلسفة المستقبل، ص 25، 26، .33

[23]– مازن اسماعيل الرمضاني، دراسات واستشراف مشاهد المستقبل، ص.51

[24]– حسن حنفي، دراسات فلسفية (الجزء الثاني في الفلسفة الغربية الحديثة والمعاصرة)، ص347.

[25]– المرجع نفسه، ص 348.

[26]- Nick Bostrom, **The Future of Humanity**, Faculty of Philosophy & James Martin 21st Century School, Oxford University, Complete draft circulated (2007), Published in *New Waves in Philosophy of Technology*, eds. Jan-Kyrre Berg Olsen, Evan Selinger, & Soren Riis (New York:

Palgrave McMillan, 2009)] [Reprinted in the journal *Geopolitics, History,* and International Relations, 2009] ,PP 2,3.

[27]- Veli Virmajoki, **The Philosophy of the Future of Science**, PP 3.

[28]-Edice Qfwfq, Lukáš Z ámečník, **The Future of Philosophy**, Tato publikace vychází v rámci grantu Inovace studia obecné jazykovědy a teorie komunikace ve spolupráci s přírodními vědami, reg. č. CZ.1.07/2.2.00/28.0076 © Lukáš Zámečník, 2014© Univerzita Palackého v Olomouci, 2014, PP 5.

[29]– مصطفى النشار، الأورغانون العربي للمستقبل، ص 81.

[30]– ينظر: – أوليفر ليمان، مستقبل الفلسفة في القرن الواحد والعشرون، ص15.

– مصطفى النشار، الأورغانون العربي للمستقبل، ص86.

[31]– أوليفر ليمان، مستقبل الفلسفة في القرن الواحد والعشرون، ص45.

[32]– مصطفى النشار، الأورغانون العربي للمستقبل، ص103.

[33]– أوليفر ليمان، مستقبل الفلسفة في القرن الواحد والعشرون، ص11.

[34]– مدخل الى فلسفة المستقبل، ص25.

[35]– إدوارد كورنيش، الاستشراف مناهج استكشاف المستقبل، ترجمة حسن الشريف، الطبعة الأولى لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2007، ص 25،27.

[36]- بخيتة سعيد المنصوري، وعبدالرزاق الظهوري، التخطيط بالسيناريوهات واستشراف المستقبل، 2019 كتاب الكتروني، ص6.

https://eco.nahrainuniv.edu.iq/wp-content/uploads/2020/12/senariosplaning-190921123618.pdf.

[37]– مدخل الى فلسفة المستقبل، ص 73، 74.